

الشيخ اليوسف: التوفيق في قضاء حوائج الناس نعمة عظيمة

قال الشيخ الدكتور عبداً أحمد اليوسف في خطبة الجمعة 14 ذو القعدة 1442 هـ الموافق 25 يونيو 2021م أن من الأعمال المندوبة التي حثَّ عليها الإسلام كثيراً وأكَّدها عليها مراراً: السعي في قضاء حوائج الناس، وتفريج كربهم، وتنفيس همومهم، وإدخال السرور عليهم؛ وفي ذلك فضل عظيم، وثواب جليل.

وأضاف: إن السعي في قضاء الحوائج من أبواب الخير التي أمر الله تعالى به كما في قوله تعالى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وهو من مصاديق التعاون على البر والتقوى، وقد دعانا الله عز وجل إلى التعاون في مجال الخير ونهانا عن التعاون في ميدان الشر كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

وأوضح أن البر اسم جامع يشمل كل فعل أو عمل إنساني يقوم به الإنسان تجاه أخيه الإنسان؛ ومن مصاديقه: السعي في قضاء حوائج إخوانه، وتنفيس كربهم، وتفريج همومهم، وتسهيل أمورهم، ومواساةهم في أحزانهم وأتراحهم، ومشاركتهم في أفراحهم ومناسباتهم، والشفعة لهم، وما أشبه ذلك.

وذكر أن الأحاديث والروايات في فضل قضاء حوائج المؤمنين مستفيضة ومتكاثرة، وأنها من وسائل التقرب إلى الله سبحانه، ونيل رضاه ومغفرته، وهو من أنواع العبادة، لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «مَنْ قَضَىٰ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ حَاجَةً كَانَ كَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ دَهْرَهُ».

وقال الشيخ اليوسف: إن من نعم الله تعالى على الإنسان أن يجعله من مفاتيح الخير، وأن يسخره لقضاء حوائج الناس، وخدمة المجتمع، لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إِنَّ مِنْ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنْ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ! وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ!».

وروي عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: «اعلموا أنَّ حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملأوا النِّعَمَ فتَحور نِقَمًا».

وتابع: إن السعي في قضاء حوائج الناس من أسباب البركة وعلامات الخير والتوفيق، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا أراد الله برعبدٍ خيراً استعمله عليمٌ وقضاء حوائج الناس»، وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا أراد الله برعبدٍ خيراً صيّر حوائج الناس إليه».

ودعا إلى أن يكون المؤمن ممن يسعى لقضاء حوائج الناس، وتنفيس كربهم، وإدخال السرور عليهم؛ فهذه نعمة عظيمة لا يوفق لها كل أحد.

ولفت إلى أن حوائج الناس كثيرة ومتنوعة، ومجالاتها لا تقتصر على الأمور المادية فحسب، بل تشمل مختلف الأمور والجوانب الحسية منها والمعنوية، وهو باب واسع وشامل لكل حاجة من حاجات الإنسان المتنوعة، فيشمل النفع بالعلم والفكر، والنفع بالنصيحة والرأي، والنفع بالجاه والشفعة وغيرها.

وأوضح الشيخ اليوسف أنه في مقابل النصوص الدينية الحائثة على قضاء حوائج الناس، وتفريج كربهم ورد النهي الشديد عن الامتناع عن قضاء حوائج المؤمنين، وأن من يمتنع مع قدرته على ذلك فقد ارتكب خطيئة، ففي الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ مَنَعَ طَالِباً حَاجَتَهُ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ فَصَاتَهَا وَعَلَيْهِ مِثْلُ خَطِيئَةِ عَشَّارٍ».

وقال: إن من مصاديق الامتناع عن السعي في قضاء الحوائج؛ هو الاحتجاب عن المحتاجين، وعدم الرد على اتصالاتهم، وتجاهل أمورهم، وهو لا يتناسب مع شخصية الإنسان المؤمن، وقد ورد النهي عن ذلك، لما في الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَنْ صَارَ إِلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ فِي حَاجَتِهِ أَوْ مُسَلِّماً فَحَاجَّيْتَهُ، لَمْ يَزَلْ فِي لَعْنَةِ اللَّهِ إِلَى أَنْ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ»، وعن الإمام علي عليه السلام قال: «مَنْ بَخِلَ عَلَى الْمُحْتَاجِ بِمَا لَدَيْهِ، كَثُرَ سَخَطُ اللَّهِ عَلَيْهِ».

وأكد على أن الساعي في قضاء حوائج إخوانه المؤمنين يقضي الحوائج في الدنيا والآخرة، ومن كان في عون أخيه كان في عونه، ومن فرّج عن أخيه كربة فرّج الله عنه، لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ فِي عَوْنِ الْمُؤْمِنِ مَا دَامَ الْمُؤْمِنُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ، وَمَنْ نَفَسَ عَنْ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ سَبْعِينَ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَةِ الْآخِرَةِ»، وعنه صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ قَضَى لِمُؤْمِنٍ حَاجَةً قَضَى اللَّهُ لَهُ حَاجَةً كَثِيرَةً أَدْنَاهُنَّ الْجَنَّةُ».

وختم خطبته بالقول: إن من يقضي حوائج إخوانه المؤمنين يقضي أ□ حوائجه في الدنيا والآخرة، ومن ينفّس عن كربهم ينفّس أ□ عن كربه في الدنيا والآخرة، ويسر له أموره، ويبارك له في أعماله، ويوفقه ويبارك له في حياته؛ فلا تتردد في قضاء حوائج إخوانك، والسعي لهم؛ فإنها نعمة عظيمة، فحافظ عليها بشكرها، ودوام العمل بلوازمها.